نجيب محفوظ المبدع الذي وضحت له الطريق طوال حياته:

مصر شاغله... ابناء المدن ابطاله والعلم خلاص الانسانية

د. نبيه القاسم *

■ شكل نجيب محفوظ ظاهرة ابداعية اشكالية شغلت الساحات الأدبية والثقافية في العالم العربي، وتعدته الى خارجه. فقد كان جبرتي القرن العشرين الذي شاهد كل ما طرأ على البلاد المصرية، لكنه لم يكن الشاهد اللامبالي العبيط، اللي ما شافش حاجة، كما قال عادل امام، بل الشاهد المراقب لكل ما يجري، والمحدد لنفسه الرؤية، والعارف الطريق التي يريد قطعها.

ولد نجيب محفوظ يوم 11 كانون الأول (ديسمبر) عام 1911 وتوفي يوم 30 آب (اغسطس) 2006، وكانت التسعة عشريات التي عاشها هي الصاخبة والمتقلبة التي عصفت بالعالم عامة ومصر والشرق الأوسط خاصة.

وقد ولد في أسرة متوسطة الحال مما وفر له امكانية الدراسة ومن ثم الالتحاق بالجامعة حيث التحق بقسم الفلسفة مما كان له من أثر كبير على توجهه المستقبلي وطريق تفكيره. وقد قال بنفسه انه اختار دراسة الفلسفة لأنه يريد معرفة الكون وأسرار الوجود. كما كان لأجواء الحي الذي عاش فيه أثرها على التربية الدينية التي عاشها، وعلى الأجواء الصوفية التي بهر بها وكان لها عظيم الأثر على فكره وابداعه المستقبلي.

الجو العاصف الذي اجتاح مصر في الربع الأول من القرن العشرين وضعها أمام اختيارين:

الأول: يدعو الى بعث الحضارة الاسلامية ورفض الحضارة الغربية.

الثاني: يدعو الى الأخذ بالحضارة الغربية لأنها القدر الذي لا مهرب منه.

وقد وجد أصحاب الاختيار الثاني، ومنهم كبار أعلام مصر ومثقفيها، أن مستقبل مصر ليس في انتمائها العربي، وانما في انصهارها بحضارة حوض البحر المتوسط واللقاء مع الحضارة الغربية، وأن اعتزازهم يجب أن يكون بالحضارة الفرعونية وليس بالحضارة العربية. فمثلا، نادى محمد حسين هيكل (1888 ـ 1956) بالأدب القومي واحياء الفرعونية والتأكيد على الشخصية الوطنية لمصر في الأدب «واستلهام التراث الفرعوني وأن بين مصر الحديثة ومصر القديمة اتصالا نفسيا وثيقا». وصرح طه حسين (1889 ـ 1973) في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» بأن «من السخف اعتبار مصر جزءا من الشرق واعتبار العقلية المصرية شرقية، فالعقل المصري منذ عصوره الأولى، ان تأثر بشيء فانما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط». ومثله دعا توفيق الحكيم الى «استيحاء كل ما هو مصري، لا يزال يؤمن بالأولياء والفتوات وبقضاء الرب الذي لا راد لارادته وحكمه.

لقد توهم نجيب محفوظ أن ثورة 23 تموز (يوليو) 1952 بقيادة جمال عبد الناصر سوف تزيل الاجحاف وتوفر للشعب حقوقه وحقه في الحياة، وبالفعل شهدت الساحة المصرية في سنوات الخمسين تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية بشرت بالكثير. لكن الواقع كان الأقسى والأصعب. صحيح أن الملك رحل والملكية كنظام انتهت، ولكن حياة الناس لم تتغير، وظل الاستغلال والظلم وسطوة الحاكم ورجال الحكم من الفتوات وغيرهم. وظل الايمان الساذج على ما كان عليه يستغله الحاكم لصالحه.

فالتغييرات لم تكن الا على السطح وعادت أجهزة الحكم لتسير على خطى الحكومات التي سبقتها قبل الثورة.

تجربة محفوظ القاسية

وكانت روايته «أولاد حارتنا» التي باشر في نشرها على حلقات في جريدة «الأهرام» عام 1957 الصرخة التي يعلنها بأن: كفى لهذا الظلم والظلام ولتتغير القوانين المجحفة وتنته ظاهرة أصحاب النبابيت وقبضايات الحارات، وليكن للسلطة المركزية هيبتها وسطوتها، وكفى لهذا الايمان الساذج، وليتحرر الانسان المصري من أوليائه وآلهته، ويثر على حكامه، وينطلق بالعلم سارقا من الرب شعلة العلم والنور والمعرفة، معلنا أن «الجبلاوي» (الرب) قد مات وليس للانسان ما يقيد انطلاقته بعد اليوم. فقد فشل الدين في ردْع الانسان ونزع خاصية الشر منه، وعرف الحكام الظالمون كيف يستغلون الدين لخدمة مصالحهم باحتواء رجال الدين وجعلهم تحت وصايتهم واستخدامهم في تثبيت حكمهم.

ووقف بعض المتزمتين المحافظين على مرامي نجيب محفوظ وثارت ثورة رجال الدين وخرجت الفتاوى المكفرة مما استدعى تدخل الرئيس جمال عبد الناصر والوصول الى اتفاق بعدم نشر الرواية في مصر، فخمدت الزوبعة ولو الى حين.

لكن نجيب محفوظ لم يتراجع عن آرائه وايمانه بتقدم العلم على الدين في كما فعل وولتر سكوت في انكلترا، وكما فعل جورجي زيدان في رواياته التاريخية بالنسبة للتاريخ الاسلامي. لكن عواصف التحولات السياسية والاقليمية والفكرية والاجتماعية، وضغط الواقع خلال الحرب العالمية الثانية وما شاهده من واقع شعبه في مصر جعله يقرر التزام هموم شعبه ويعمل على كشف أوضاعه ليساعد في ايجاد حلول.

فقد عصفت الأفكار الاشتراكية التي أتت بها الثورة الشيوعية في روسيا بمصر، وكثر المعتنقون لهذه الأفكار الداعية للعدل الاجتماعي والمساواة والحرية ونيل الشعب لحقوقه. وآمن نجيب محفوظ بهذه الأفكار وشكلت تحولا جذريا في توجهه الابداعي، فقد تخلى عن خطته في كتابة تاريخ مصر واتجه نحو أبناء شعبه من الطبقات الفقيرة التي تعج بها شوارع وأحياء القاهرة، وخصص لها اهتمامه وابداعه، وقد تمثلت هذه المرحلة في روايات نجيب محفوظ «القاهرة الجديدة» عام 1945، «خان الخليلي» 1946، «زقاق المدق» 1947، «السراب» 1948، «بداية ونهاية» 1949 وانتهت بالثلاثية «بين القصرين وقصر الشوق والسكرية» عام 1956/1957.

خيبة نجيب محفوظ

اطلاع نجيب محفوظ على أوضاع أبناء الطبقات الفقيرة في أحياء القاهرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والدينية، وتغلغله بين أبناء هذه الطبقات التي صورها في رواياته جعلته أكثر التصاقا بهؤلاء الناس ومشغولا بهمومهم ويقظا لأحوالهم ومهتما بمستقبلهم. وقد كانت فترة السنوات التي تتبع فيها محفوظ حياة الشعب المصري في أحياء القاهرة الفقيرة والوقوف على كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة مع الموقف الناقد والموجه الذي اكتسبه نتيجة للأفكار التي طرحتها الواقعية الاشتراكية، أن وضحت له العيوب التي تعطل تقدم وتطور المجتمع المصري . فبالاضافة الى مساوئ الحكم والحكام وجور القوانين المجحفة وانتشار الأمية والجهل، وجد أن أكثر ما يضعف الأمة ويعيق تقدمها ويتركها منقادة لحكامها وراضية بواقعها هو هذا الايمان الغيبي الغبي الذي لا يجرؤ على السؤال والتساؤل، أمة تعتقد أن الله كتب عليها واقعها الذي لا مغير له الا هو، وما للانسان الا الرضا والتسليم.

وكان نجيب محفوظ يشهد هذا التحول الهائل في الفكر الغربي وانطلاق العلم نحو الفضاء وغزوه، بينما الانسان في حي العباسية والجمالية وزقاق المدق لا يزال يؤمن بالأولياء والفتوات وبقضاء الرب الذي لا راد لارادته وحكمه.

نجيب محفوظ

صلاح المجتمع وتطوره، وقد عاد ليقول ذلك وبوضوح في رواية «ثرثرة فوق النيل» (1966) ان الانسان واجه قديما العبث وخرج منه بالدين. وهو يواجه اليوم الدين فكيف يخرج منه؟ ولا فائدة ترجى من مخاطبة انسان بغير اللغة التي يتعامل بها، وقد اكتسبنا لغة جديدة هي العلم ولا سبيل الى توكيد الحقائق الصغرى والكبرى معا الا بها، وهي حقائق بلورها الدين بلغة الانسان القديمة، والمطلوب أن تؤكد بنفس القوة ولكن بلغته الجديدة، وليكن لنا في العلماء أسوة ومنهج. يبدو أنهم لا يقعون في العبث أبدا. لماذا؟ ربما لأنهم لا وقت لديهم لذلك، وربما لأنهم على صلة دائمة بالحقيقة معتمدين على منهج موفق قد أثبت جدارته، فلا يتأتى لهم الشك فيها أو اليأس منها».(ص 108)

الدعوة الى الثورة والتغيير

شهد نجيب محفوظ بعد قيام ثورة 23 تموز (يوليو) هذا التسلق لكل الفئات الانتهازية واستغلالها للسلطة وتبوأها المراكز العليا، وشهد تهاون السلطة وأجهزتها مع رجال الدين والتعاون السلبي بينهما ضد مصالح الشعب، وساءه أكثر هذه الانتهازية للشباب المتعلم الذي تغنى بالثورة وأهدافها ولكنه لم يعرف غير شعاراتها وما همه الا استغلال ما توفره له من امتيازات. وكان يبحث عن الحلول، واعتقد أن الحل يجب أن يأتي على يدي ثوري صادق مؤمن ينسف الجميع ويبشر بعهد جديد. وكانت من ثمرة هذا الفكر الثوري رواياته التي بشرت بمرحلة جديدة في كتابة الرواية العربية: «اللص والكلاب، الطريق، الشحاذ» لكنه سرعان ما اكتشف أن الحل الفردي والعمل الفردي مهما كان لن يوصل للغاية المرجوة، وفقط بالعمل الجماعي والجهد الكلي يتحقق النجاح ويكون التغيير وبلوغ الهدف.

وساءت الأوضاع أكثر على مختلف الساحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وزاد تحكم قوى الأمن والأجهزة الأمنية السرية برقاب وافكار وسلوكيات الانسان المصري وقد صور محفوظ هذا في «ثرثرة فوق النيل» (1966) و«ميرامار» (1967).

مرحلة الضياع وفقدان البوصلة

كانت فترة حكم جمال عبد الناصر مخيبة لآمال الكثير من المصريين ومنهم نجيب محفوظ. فقد أملوا تحقيق الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، ولكن الذي كان على العكس تماما. صحيح أن التغييرات الكبيرة حدثت على مختلف الأصعدة، ولكن المغامرات غير المدروسة قوضت كل الانجازات، وجرت البلاد الى أوضاع غاية في الصعوبة، كان قمتها في احتلال اسرائيل لكل جزيرة سيناء وتهديد كل الجانب الآخر من قناة السويس بالاضافة الى سقوط كل فلسطين والمرتفعات السورية في يد الجيش الاسرائيلي في حزيران (يونيو) 1967.

الصدمة كانت لا توصف ولا تحتمل، والتبريرات لا تقنع ولا تخفف الاحساس بالهزيمة والذل وحتى اليأس وتدفع للكفر بكل القيم التي آمنوا بها من قبل.

وكانت مجموعات قصص نجيب محفوظ القصيرة المعبرة عن هذا التخبط وهذه الحال». تحت المظلة» (1969) ثم كانت رواية « الكرنك» (1974) التي عرى فيها مساوئ الفترة الأمنية في عهد الثورة، وفتح بها كل النيران الحاقدة لتستعر على الثورة وجمال عبد الناصر محاولة الغاء كل الانجازات التي كانت.

مرحلة السادات المخيبة للآمال

اعتقد نجيب محفوظ أن انفتاح السادات نحو الغرب ودعوته لحرية الأحزاب والانفتاح الاقتصادي هو ما يحقق لمصر آمالها وحلمها ويضمن لها تطورها وتقدمها، وأمل في عودة حزب الوفد الذي آمن بمبادئه وزعمائه وبها ستتحقق الحرية والديمقراطية وتعود لمصر أمجادها. وكانت حرب السادس من تشرين الاول (أكتوبر) عام 1973 وتقهقر الجيش الاسرائيلي أمام الجيش المصري مما حقق استعادة لبعض الكرامة الوطنية.

لكن الآمال سرعان ما خابت بالتدهور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري واتساع السجون ورمي الكثيرين بالخيانة، ومن ثم عودة التيار الديني بكل جبروته ليتحكم برقاب الناس وفكرهم.

وعبر نجيب محفوظ عن مواقفه من كل ذلك في رواياته العديدة وقصصه القصيرة التي أصدرها في عدة مجموعات بعد أن كان نشرها في الصحف. وكانت قمتها رواية «يوم قتل الزعيم» 1985 التي يستعيد فيها سعادة أيام ما قبل ثورة 1952، ويصب نقمته على جمال عبد الناصر وثورته «ليس الا كسائر الشعارات الجوفاء التي تنهال علينا من أفواه المسؤولين. زمن شعارات مقزز. حتى الراحل البطل لم يعف عن ترديد الشعارات. وبين الشعار والحقيقة هوة سقطنا فيها ضائعين» (ص17) «وما معنى الاصرار على التمسك ببطل منهزم راحل؟»(ص22)

ويسخر من السادات « النصر يتكشف عن لعبة والسلام عن تسليم» (ص46) «ما هو الا ممثل فاشل، صديقي بيجن، صديقي كيسنجر، الزي زي هتلر والفعل شارلي شابلن» (ص47) «ما هذا القرار ايها الرجل؟ تعلن ثورة في 15 ايار (مايو) ثم تصفيها في 5 ايلول (سبتمبر)؟ تزج في السجن بالمصريين جميعا من مسلمين وأقباط ورجال أحزاب ورجال فكر، لم يعد في ميدان الحرية الا الانتهازيون، فلك الرحمة يا مصر»(ص65).

آراء تبناها ولم يتخل عنها

مما تميز به نجيب محفوظ عن الكثيرين غيره من المبدعين العرب وحتى الكثيرين من غير العرب أنه لم يتخل ولم يشك ولم يضعف ايمانه بالأفكار والمبادئ التي آمن بها وتقبلها واعتنقها في مسيرة حياته الابداعية الطويلة. والتي تتلخص في:

1ـ ان انتماء مصر حضارة وتاريخا الى حوض البحر المتوسط ولا علاقة لها بالعرب وتاريخهم.

2ـ لم تشغله في حياته سوى مصر ولم يعر اهتمامه لأي قضية قومية أخرى، ولهذا لم يظهر في كل ابداعاته أي اهتمام بالقضية القومية العربية ولا بالقضية الفلسطينية.

3ـ حزب الوفد هو حزبه المفضل والمثالي ولم يقبل بغيره انتماء، وسعد زغلول هو البطل القومي الذي لم يقبل بغيره زعيما.

4ـ العدالة والحرية والديمقراطية هي بديهيات يجب أن تتوفر للناس.

5ـ أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة في أحياء القاهرة هم الذين شغلوه في حياته ولهم كرس كل ابداعاته، ولم يكتب عن الريف وأهل الريف أبدا.

6ـ الحكام فاسدون ومفسدون ولا أمل في اصلاحهم.

7ـ الدين جاء ليخلص الانسان من العبث ولكنه فشل في حل المشاكل وتوفير الأمان والحياة المعيشية المطلوبة للانسان.

8ـ خلاص الانسان يكون فقط بالعلم ولغة العلم وتبوؤ رجال العلم لسدة الحكم.

ما بعد الاعتداء عليه

وكان الحدث الأصعب في حياة نجيب محفوظ يوم الجمعة الخامس عشر من تشرين الأول (اكتوبر) عام 1994 عندما تعرض له شاب غض لم يقرأ كلمة مما كتب نجيب محفوظ ولم يكن يعرفه. هذا الشاب طعن نجيب محفوظ في أسفل عنقه وفر هاربا الى أن ألقي القبض عليه، ورغم جريمته النكراء الا أنه قال جوابا على سؤال له: انه غير نادم، وأنه لو سنحت له الفرصة فسيقوم بذلك ثانية.

وقال: انه لم يقرأ لنجيب محفوظ حرفا، لكن أميره أصدر فتوى بتكفير محفوظ، وهو نفذ ذلك؟ (جمال الغيطاني ـ «القدس العربي» 2006/9/2).

هذا الاعتداء كان أثره كبيرا على نجيب محفوظ، فقد قيد حركته، وحال دونه والقدرة على الكتابة، ولفترة حرمه متعة الصداقات والجلسات المعتادة، لكنه في سنواته الأخيرة عاد للكتابة وأصدر المجموعات القصصية، واستعاد في الكثير مما كتب سيرته الذاتية ببعض التفاصيل (قشتمر). وظل متمسكا بآرائه ومواقفه التي تبناها في مطلع حياته وان كان بأقل حدة وجرأة الى أن وافته المنية وعاد الى ربه راضيا مرضيا.

* ناقد من فلسطين

اصدارات

مجموعة «المستحمات» للشاعر حسن نجمي الى اللغة الايطالية

روما ـ «القدس العربي»:

صدرت في ايطاليا الترجمة الايطالية، التي أنجزها شراطي الرداد، لديوان الشاعر حسن نجمي «المستحمات» عن دار كيميريك بميسينا الايطالية. وكان هذا العمل الشعري قد صدَر في طبعته العربية ضمن منشورات دار الثقافة بالدار البيضاء، سنة 2002.

وقد خص الشاعر الايطالي الكبير جوزيبي كونتي هذه الترجمة بمقدمة، هذا نصها :

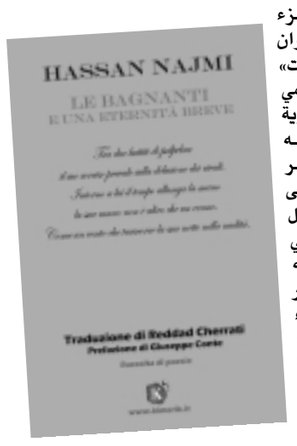

يتميز الجزء الأول من ديوان «المستحمات» لحسن نجمي بمسحة رؤياوية خالصة. فيه يرحل الشاعر بالقارئ الى مكان ذي رمل عنيد في كثبانه. مكانه يخطف البصر في ضياء أبدي، وتؤثثه قرب فارغة شَقها حر زمن لانهائي. انه فضاء مطلق ومشرع تجسده الصحراء في شساعتها، حيث الكثبان ظهور حيتان ضخمة طورا، ونساء عاريات طورا آخر، عندما يضفي الشاعر صفات انسانية على هذه الكثبان.

المتكلم في مخاض الرؤى اللانهائي شاعر يقدم ذاته على أنها صحراء في صحراء، من غير أن يتماهى هذا الفضاء بانفتاح الأعماق العمومية كما في الشعرية الغربية. ذلك أن صحراء حسن نجمي تسكنها روح ظمأى ترتوي من المعاني القصية وتضيء كل عتمة.

نلفي في قصيدتي «الصحراء» و«نشيد الماء» على سبيل التمثيل، حضورا باذخا لمكونات قصيدة النثر يمكن عدها أسَّ التجديد، الذي يعتبر حسن نجمي أحد رواده في الشعر العربي، وان ظل مفهوم الشعر النثري محتفظا بما يميزه في الشعرية الايطالية التي ارتبط فيها بالرمزية والغرابة بوصفها أهم خصائص ما يسمى بالنثر الفني Prosa d'arte.

نعثر في قصائد الجزء الأول من هذا الديوان، على نص غائب يحيل القارئ على «فصل في الجحيم» لآرثر رامبو، كما يحيل، بالنسبة للشعر الايطالي، على أناشيد أورفيوس لدينو كامبانا. فالى جانب التكثيف الذي رسم هذه القصائد، انبنت لغتها على استعارات مترابطة تتداخل وتتقاطع لتكشف عن فضاءات المعنى المجهول، حيث نكون أمام تأجج جديد لتِرحَال الاستعارة metaforo ـ Nomadismo della.

تكثف الاستعارية la metaforizzazione في هذا الديوان الأنا والكون، وحركات الروح والأشياء وتوسعها في آن. وبين التكثيف والتوسيع تغدو هذه الاشياء اشارة تنصهر في الروح بتجل بيِّن.

ما الذي تمثله الزواحف التي غيرت لونها وتشبهت بالظل؟ كيف لنا أن نتأمل مشهد الشمس المؤلم في تشبيه الشاعر لها بقرص نحاس ذائب ؟ مشهد أخاذ لا يكتمل الا بظهور «أميرات بعيدات، شغوفات، ساخنات ومُثَقَّدات، أميرات لسن جنيات أو عذراوات أو نيازك من مجَرات بعيدة».

بين مسارات هذه النصوص الشعرية المكتوبة على حافة النثر نتحسس كائنا يملك جسدا وجلدا وشرايين ودما، كائنا بروح تتنفس وتنام وتستيقظ. هكذا يسهم حسن نجمي في رسالة شعراء يمنحون الصمت صوتا والأشياء معنى، وقد «يتطوع منهم من يكتب سيرة الهية».

تنطوي قصائد ديوان «المستحمات» على أثر الثقافة الغربية وعلى بصمة الشرق الأقصى. فالأولى حاضرة من خلال اشارة حسن نجمي الى الرسام غويا والشاعر ريتسوس والى قصيدة أنابيس نن، فيما الثانية سارية انطلاقا من الهايكو بوصفه شكلا كونيا. ومن ثم فان القصائد تتجاوز حدود ثقافتها الأصلية.

ان قصائد نجمي تنهض على استثمار المفارقة كما في قوله «أتكئ عليك كما لو على هاوية» وتتحول الى أدب واصف يُمَكِّنُ الشعر من ادماج اطار لوحة في بناء معناه على نحو ما يتبدى من قول الشاعر «اني أسمع نباحه قادما من اطار أو من ليل».

بالانصات لهذه القصائد نكون في حضرة شاعر حداثي بامتياز، يعي عزلة الشعر وأزمته فيما يعي قدرته أيضا على بعث الفرح والألم في عالم معاصر فقد تعقله. شاعر «لم يعد له كلام أو صمت»، منهمك في هدأة ممارسته الشعرية، يغازل اللحظات كي تمنحه الكتابة أو اعادة الكتابة «ها هو يداعب الصباحات بقهوة مرة».

في الجزء الثاني من الديوان، نكتشف قصائد غنائية قصيرة تستحضر الشعر الافريقي الجديد، ونلمس فيها أثر الشاعر الايطالي جوزيبي أونغاريتي الذي ظل محتفظا بصدى نشأته في الاسكندرية المصرية، انطلاقا من ايقاع مشدود الى الأذان الدائري.

من أجمل قصائد هذا الجزء تلك الموسومة بـ«امرأة نائمة». فيها نلتقي بلوحة رائعة لأنثى لا تنام استجابة للتعب أو الليل أو للحاجة وانما ليظل الظهُور عاريا والساق خارج الملاءة، ما دام «المشهد هكذا في اللوحة الأكواريل».

تعج قصائد الشاعر حسن نجمي بمشاهد أنثوية حسية دقيقة توقظ الألم. فثمة امرأة واقفة تئن «كما تئن تحت التربة جذور شجرة»، وثمة سيدة «يكورُ نهدُها النظرات» توقف الليل لها وللشاعر.

أما في قصيدة «اضطراب» ذات البهاء المتجهم فنكون أمام ذروة التنَفُّس الشعري العميق. يقول حسن نجمي:

صدرك على كفي
وكفاي مرتبكتَان
من أي نسيان خفيف جئت؟!
كأن فراشتين تتضاجعان في حلم.
رفيفُ أجنحة.
يدٌ في يد.
وفم في فَم يخيطهما الارتباك.

وانسجاما مع المسار المتصاعد ذاته، يجعل حسن نجمي في قصيدة «كلماتي» من الجسد الاستِعَاري تيمة، وهو ما ينجزه أيضا عندما يمنح المادة والروح شكلين على غرار ما نلفيه في الشعرية الشرقية. يقول الشاعر:

ـ ما الذي تخفيه تحت كلماتك؟
ـ لا شيء .... لحمي فقط.

لقد حققت هذه الترجمة ضيافة اللغة الايطالية للقصائد دون أن تترك أثرا للانتقال من لغة الى أخرى. ترجمة تمكنت من ايقاظ الحس الرمزي والاستعاري الدفينين في لغتنا، على نحو يتيح للقارئ الايطالي ملامسة غنى الأصل بصوره واستعاراته وايقاعاته.

جوزيبي كونتي

* اشارة : خَتَم الشاعر الايطالي جيوزيبي كونْتي هذا النص بفقرة خَصصها لابداء اعجابه الكبير بالترجمة الموفَّقة للمغربي الرداد شراطي، لكن المترجم نفسه الذي عرَّب هذا النص أبَى بتواضع صادق أن يترجم الفقرة الى العربية.

الشاعر السوري فرج بيرقدار يروي 15 عاماً من السجن في كتاب

بيروت ـ «القدس العربي»:

صدر في «دار الجديد» كتاب «خيانات اللغة والصمت ـ تغريبتي في سجون المخابرات السورية» للشاعر فرج بيرقدار الذي أمضى خمسة عشر عاماً في سجون النظام السوري.

في الكتاب نصوص أدبية وتأملية وشعرية كتبها الشاعر أثناء سجنه. في البداية حفظها غيباً. وعندما ازداد عددها طلب الى زملائه في السجون أن يحفظ كل واحد نصاً. لاحقاً استطاع تدوين هذه النصوص وغيرها وتهريبها الى الخارج عبر سجناء أصدقاء. وكان بيرقدار سجن للمرة الأولى عام 1978 بسبب كراس أدبي شبه دوري شارك في إصداره مع عدد من الأدباء الشباب في جامعة دمشق. المرة الثانية سجن بتهمة الانتماء الى رابطة العمل الشيوعي. أما المرة الأخيرة والأطول فكانت عام 1987 بسبب الانتماء الى حزب العمل الشيوعي.

عام 1992 قدمّ بيرقدار مرافعته أمام محكمة أمن الدولة العليا، ما لفت انتباه شخصيات ومنظمات عالمية الى أن صاحب المرافعة ليس معتقل رأي فحسب، وإنما شاعرا وصحافيا أيضاً.

في ما بعد نشر مجموعته الشعرية «حمامة مطلقة الجناحين» ((1997وترجمها الى الفرنسية. حصلت المجموعة على جائزة هلمان/ هامت ((1998 وجائزة الفرع الأميركي لنادي القلم العالمي ((1999. إصدارٌ وجائزتان ساهمت في تصعيد الحملة الدولية التي انتهت بالإفراج عنه.

ينوّه فرج بيرقدار في مقدمة الكتاب الى أنه ليس عضواً في اتحاد الكتّاب العرب أو في اتحاد الصحافيين، قائلاً: «ربما لم يجد الاتحادان نفسيهما معنيين بالمطالبة بي، ولا حتى الإقرار بوجود شاعر وصحافي سوري داخل السجون السورية. أما اتحاد الكتّاب الفلسطينيين الذي انتسبت إليه عام 1981، فلم يجرؤ هو الآخر على الاعتراف بأني عضو فيه».

يتألف الكتاب من ستة عشر نصاً تروي تجربة الشاعر في السجن بلغة أليمة لكن خافتة وتأملية، إضافة الى ملحق بعنوان «دفاعاً عن الحرية».

«عصفور الفم» كتاب شعري للعراقي عبدالهادي سعدون

مدريد ـ «القدس العربي»:

صدر في مدريد عن دار ألواح، الديوان الشعري الجديد للكاتب العراقي عبدالهادي سعدون والذي جاء بعنوان (عصفور الفم)، والعنوان مستمد من قصيدة من قصائد الكتاب الذي قسم إلى قسمين، القسم الأول ضم القصائد المؤرخة ما بين 2001 ـ 2006، والقسم الآخر ما بين 1999 ـ 2000. والكتاب الذي جاء بـ60 صفحة من القطع المتوسط، زينت غلافه لوحة للفنان هاني مظهر، وضم 26 قصيدة. يعد الكتاب الثالث شعرياً بمسيرة الكاتب والسادس من مجموع اصداراته الأدبية، هذا اضافة لعشرات الكتب المترجمة من الاسبانية للعربية واخرى غيرها صدرت للكاتب بلغات أخرى، مثلما عليه كتاب (الكتابة بالمسمارية)، منتخب من شعره باللغة الاسبانية الذي صدر مؤخراً في العاصمة الفنزويلية كاراكاس.. هنا قصيدة (عصفور الفم) نموذجاً من الكتاب..

عصفور الفم

بينما أتنصل
من الشعر
وإغواء
الكلمات التي لا
نفع بها
ـ كما تقول المرأة التي تنام جواري هذه الليلة ـ
أنادي على العصفور من الكوة الضيقة
أنتظره أن يخرج من ظلمة ما
في قصيدة الشاعر التي قرأت مرة ونسيت مصدرها:
«أنتظره حتى يخرج
... من الفم».

بينما أداور جذعي
من محطة إلى أخرى
ـ أعني فراغ رغبتي ـ
كذلك لا أفكر بميتة ناصعة البياض
مثل هجعتي قربها.

المرأة بلا معرفة سابقة تبتسم للظلمة.

حيرتي تسابق الفجر بالظهور
أستلقي واكشف عن قدري هذه الليلة
لا عصفور يأتي
وضحكتها حقيقتي الوحيدة.

«ليس سوى ريح» سأقول
مكرراً كلمات صاحب عشبة الخلود
وانطرح بثقلي محاولاً تقبيل شراشف السرير؛
العصفور تذكار قديم لليلة مرت.

المتاهة

الى الشاعر سعدي يوسف

عبود الجابري

لم يكن يتقن لعبة المتاهة
اخطأ في رسم الحبل
فسقط في بئر من الخرائط
وتدلت فوقه
أسماء المدن العتيقة
والبلدان التي تنفر من رائحته
لم يصفق ..
خشية أن يجرح مسامع اليمام
ويخدش كبرياء عشب
ينمو بين أصابعه
هو متاهة آخرين

ودليل الإبل التي تمضي صوب البيادر
لا يحمل بين فكيه
سوى لسانه الأسود من فرط البطالة
وآية الكرسي
وحروفا أتعبه رسمها على الجدران الناشرة
وهو لا يحمل في جيبه أيضا
سوى ورقة عدم المحكومية
وإذن خطي
بالاحتفاظ بآية الكرسي
وهو متفق مع ذواته
حد انه ينام على ذراع زوجته
ويقرأ موجز الأخبار في عيون بنيه
وهو مقتصد بحلمه
يرى الشمس عنقودا من المصابيح
والقمر ثلاثين هلالا
ويرى في السنة الكبيسة
يوما آخر
بلا رصيف لين.....
.....
هو إذن .. متاهة نفسه
وحيرة العابرين على جسده
تشرب وجهه الشوارع
والمقاهي
والمخافر
والأسلاك الشائكة
.. ودكاكين الكلام
وهو بلا شك ..
من الرواة الذين
يؤثرون النهايات المفتوحة
ولديه من النهايات
ما لا يجد له بدايات في ذاكرة الهدهد
؛
ـ نهاية الرأس بين يدي الفكرة
ـ نهاية الشراع عند الانقلاب الشتوي للصحراء
ـ نهاية القبلة لدى سماع أذان الفجر
ـ ونهاية الحبل المرسوم في المتاهة
.....
غير انه هنا
يبحث عن نهاية اخرى
ـ يحلم ان لا تكون مفتوحة جدا ـ
لبداية نحتها الرواة
في صحاحهم
واشتعلت في المتون
وطنا
يأخذ شكل المتاهة ...

عمان